

أثرُ المقام في الخطاب السردِيّ « النادرة لأبي عثمان الجاحظ أنموذجاً »

د. منال العيسى

جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية

الملخص :

ننظرُ في هذا البحث الموسوم بـ "أثر المقام في الخطاب السردِيّ من خلال النادرة" في المقام وُجوه تفاعله التأويلية في الخطاب التلفظي . وكيف تتشكّل طرائق السرديات التلفظية في المقام على نحو مخصوص ، فتحاول إغناءه وإثراءه بالرغم من مقتضياته وإكراهاته. ولا شك أنّ المقام السردِيّ المنتج للخطاب يُعتبر من أبرز الأسس المتينة التي تنهض عليها العملية التواصلية وتسعى إلى تحقيقها . و بالتالي بيان أثر المقام في تأويل النصّ. بل إنّ جوهر هذه العملية يتّصل اتصالاً وثيقاً باستدعاء المقصد وتدبره وتأويله.

فالمقام على صلة وثيقة بالباحثين التداولي و التلفظي ، إذ يعمل المؤول على الاهتمام بتفاصيل الدلالة في الكلمة كما في الجملة بأسرها مُراعياً خصوصيات المقام وآلياته، فالمتلفّظ بالخطاب ينشد المقصد ويروم الدلالة في غالب الأحيان. ولا يتحقّق هذا المقال إلا في مقام مُعيّن ، لذلك كثيراً ما نجد المتلفّظ بالخطاب يتسلّح بمجموعة من الأساليب المتنوعة رغبةً في تحيّن القصديّة واستدعاء الدلالة مُستشرفاً بذلك المفاهيم الكلية للمقام التي بواسطتها يتحقّق فعلُ التأويل .

I - القسم النظري :

1- في التلازم بين المقام والمقال :

لا شك أنّ عملية التلقّظ اللغويّ يجب أن تكون مُحكّمةً بجملة من التواميس التي على ضوئها يمكن أن تُحدّد المقاصد والغايات القولية التي يرومها المتلفّظ وهو يُنجز ملفوظه . فكلّ خطاب مقام يُنجز فيه وفي إطاره يُحدّد معالمة وهيئاته طالما أنّ الخطاب هو كلّ تلقّظ يفترض مُتحدّثاً وسامعاً تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال. هذه التواميس اللسانية هي شروط وجب على مستعمل اللغة توجيهاً حتى يتسنى له إيصال مقصديته من عملية التلقّظ وهو ما يُبرّر في اعتقادنا عناية الدراسات النقدية الحديثة والقديمة على حدّ سواء بمسألة المقام نظراً لأهميته في العملية التخاطبية. ولعلّ تلك الإكراهات اللسانية هي الأخرى على صلة وطيدة بالمكوّن الاجتماعي والثقافي للمتلفّظ الذي من شأنه أن يكون له هو الآخر دور في طرائق الإبلاغ وهيئات تصريف الكلام على نحو مخصوص يجوز معه أن تُنسب هذا الكلام لمتلفّظ مُعيّن دون غيره من أطراف عملية التواصل . فعملية التلقّظ اللغويّ من هذه الناحية إذن عملية مُتداخلة وإشكالية في آن واحد تعمل مُؤثرات عديدة على صياغتها والمساهمة في إنتاجها .

نقصد بذلك أنّ عملية التلقظ تبقى في اتصال وثيق بالمقام باعتباره محدداً لها ومساهمًا رئيسيًا في إنتاجها وإثرائها ، ذلك أنّ المتلقظ بالخطاب اللغوي لا بُدّ له من أن يخضع لإكراهات المقام ومتطلباته وهو يُنجز اللغة ويرسّم معالم عملية التواصل فيُصرفُ اللغة على وجوه مُتباينة تراعي خصوصيات المقام وآلياته وتبيّن الظروف والملازمات السياقية الحاقّة به .

إنّ مراعاة الخطاب اللغوي للمقام السردّي وطرائق اشتغاله سيُجعل من المتلقظ بهذا الخطاب محكومًا بالإكراهات الإيديولوجية والمقاصدية التي يروم إنبلاغها، فيستوي مُنضبطًا لها عاملاً على تحقيقها . «ففي ذهن الخطيب يختلط الفكر الموضوعي الكلي الواعي بالفكر الإيديولوجي المنقوص المنقاد إلى الإكتساح العاطفي الجامح»¹ . على أنّ هذا التداخل بين الموضوعي والذاتي جعل الناقد محمد بن عياد يعتبر أنّ المتلقظ بالكلام « يُحاول أن يُوطّن نفسه ويقنعها بأنّ التفسير الذي يُقدّمه من وجهة نظرٍ مصلحية هو الأصلح والأبقى»² .

إنّ المتلقظ وهو يستهدف إنجاز عملية التلقظ يجد نفسه مجبرًا على احترام المقام وخصوصياته من خلال توظيف أفضل لإختياراته المنهجية حتّى يكون الخطاب اللغوي فاعلاً ومؤثراً في الوقت نفسه . فالإيديولوجيا « غير منفصلة عن الألفاظ والصيغ والأبنية الخطابية بل هي مُحايثة لها ، وبها تعبر عن نفسها. فهذه الوسائل هي القادرة وحدها على إشعار المتقبل بمفعولية الإيديولوجيا من حيث هي تُوهّم المتقبل بالقُدرة على التفكير إنّما هي تسلبه هذا الحق ومن جهة ما تنطوي عليه من طاقة خطاب تُتيح الإيديولوجيا لنفسها أن تُفكر بدلاً منها»³ .

فالمقام السردّي في اعتقادنا كثيرًا ما يكون على صِلَة وثيقة بمفهوم آخر مهمّ هو الإيديولوجيا التي تتخلّل عملية الكلام وتسكن في ثناياه . فهي كامنّة فيه . وتنتظر المقام المناسب لتُفصح عنها أثناء إنجاز المتكلم لعملية التلقظ. وفي المقابل فإنّ طرائق اشتغال المقام على هيئة مخصوصة (يتمّ تحيّرهما من قبل المرسل للكلام) هي التي بوسعها أن تضمن أو لا تضمن بلوغ المقصديّة من عملية الكلام. وعليه، يكون الكلام المنجز في مقام مُعيّن قابلاً لتأويل المعنى وما يُحدّد ذلك الخطاب اللغوي وهو يُنجز في هذا المقام أو ذاك . أي « كنيّة اشتغال المقام داخل خطاب سيمّته الإيديولوجيا و مُلازمة له»⁴

فالمقام من هذه الناحية ركنٌ من أركان التداولية وعاملٌ مُسهم في إنتاجها، ولذلك فإنّ النصّ السردّي ليس نصًّا مُنغلقًا على ذاته بقدر ما يكون « خطابًا مُتداولًا بين مُتخاطبين و في نيّة القائل أن يترك بالقول أثرًا في المُقول له في نطاق مقام مُعيّن . فيتحوّل أثناء التّخاطب بين المتكلمين المتعاملين ضمن مقام تعاملي»⁵ .

في هذا الإطار التفاعلي بين المقام والخطاب التلقظي والسمة الإيديولوجية له، سنحاول النظر في نصّ سردّي مازال يُثير جدلاً في آليات كتابته خاصّة حينما يتعلّق الأمر بطرائق إنتاجه وُجوه تأويله، نقصد بذلك "النّادرة" كجنس أدبيّ عرفه العرب، وشاع في أدبيّاتهم . وقد تحيّرنا في هذه البُحث نادرته للجاحظ (160هـ / 255 هـ) وذلك للنظر في أثر المقام السردّي فيهما وطرائق اشتغاله في هذه النصوص لما له من أثر في توجيه مقاصد البخيل والبوح بما يروم إنبلاغه سواء لمقابلته في المحاورَة أو للمُتلقي الجمعي الذي يُتابع مسار القصّ في هذه النصوص. لذا يُمكن أن ندرس المقام « باعتباره مجال اشتراك بين

مُختلف الأجناس التي أنتجها، كما يُمكن أن نرسم صِلته بالأجناس القصصية التي استثمرته لتحقيق وظائف مُتعددة، كما يفتح لنا هذا المقام مجال المقارنة بين مُختلف الأجناس الأدبية التي يجمع بينها كونها رسائل مُوجّهة إلى مُخاطب مُفرد معلوم»⁶.

2- في مفهوم المقام السردّي وعلاقته بالتلفظ:

إنّ تأويل النصّ هو فعلٌ منشودٌ من قبل المرسل للخطاب. ولا شكّ أنّ قصديّة المرسل تبقى رهينة تلك الشّروط المقاميّة التي يُنجزها إبّان تلفظه بالخطاب. فتأخذ بعداً قصديّاً وتأويليّاً له لا شكّ أنّه يخضع لإكراهات المقام السردّي. وهي صيغٌ و أساليبٌ نزعٌ أنّ المتكلّم قد عمد إلى إيجادها مُراعاةً لمقام التّلفظ وشروطه وإكراهاته ممّا قد يدفع المتلقّي للخطاب بالإسراع إلى محاولة تمييز طبقات الدلالة والمعنى وتبين جدواها أثناء عمليّة التّواصل. وهي عناصرٌ من شأنها أن تُسهم في إنتاج المعنى وتدبّر تأويلاته، فتُسهم من ناحيتها في إنتاج البناء الدلاليّ عامّة، إذ المقامُ مكوّنٌ رئيسيٌّ في إنتاج المعاني وتدبّر تأويلها.

ولاشكّ أنّ مفهوم المقام السردّي⁷ يُمثّل أحد أبرز المفاهيم الأساسيّة في الخطاب التّلفظيّ وبالتالي فهو ركيزة العملية التأويلية، بل هو أساس إنتاجه. وقد ربط البلاغيّون والنّقاد قديماً وحديثاً بين المقام والمقال. فمن العسير أن نفهم خطاباً تلفظيّاً دون وصله بالذات المتكلّمة التي تُنجزه. كما حرصوا على ضرورة الملائمة بينهما، إذ أدركوا أنّ لكلّ خطاب مقاماً مخصوصاً يتشكّل في ثناياه. فالخطاب لا يُمكن أن يوجد بمفرده خارج المقام، إنّما هو مُندرج فيه مُتأثّر به حتّى غدا المقام عندهم ضرورة مُحيطة لكلّ خطاب⁸. والنّاظر في مادّة «ق، و، م» في لسان العرب يلحظ أنّها تُشير إلى أنّ المقام «هو موضع القدمين. والمقام والمقامة الموضع الذي تُقيم فيه. والإقامة والمقامة المجلس والجماعة من الناس»⁹.

ويُمكن أن نلاحظ من خلال هذا التعريف الذي أورده ابن منظور أنّ المقام «مفهومٌ يدورُ محوره على ثلاثة أبعاد: الثّبات المكانيّ، والثّبات الزمانيّ ووضوح المنزلة، ونرى هذه الأبعاد الثلاثة قابلة للإستغلال اللّغويّ والبلاغيّ من جهة كون اللّغة حينما يُطْلَقُها المتكلّم في موقع مُعيّن إنّما هو يخضع وجوباً لإحداثيات التّنزيل من زمان ومكان وحال و كأنّما هذه الإحداثيات ضروريّة ضرورة القول ذاته»¹⁰.

وقد تحدّث الجاحظ عن أهميّة المقام السردّي وضرورة الملائمة بينه وبين المقال لكونهما مُتلازمين. لا تتحقّق استمالة المتلقّي إلّا من خلال توافقيهما. وهو ما تنبّه إليه الجاحظ حين أقر بضرورة التّلازم بين المتلفّظ والمستمع والحال¹¹. هذه العناصر الثلاثة يُمكن اعتبارها شروطاً ضروريّة لتحقيق الإبلاغ والتّواصل. إذ المقام سياقٌ زمانيّ ومكانيّ يتحقّق ثنيّه المقال. ونذهب مع النّاقِد محمد بن عيّاد في اعتباره المقام «ينطوي على اتجاهٍ مُعيّن في التّفكير. فالقول بأسبقيّة المقام على المقال نستفيد منه أنّ الأوّل هو الأصل و أنّ الثّاني عنصرٌ طارئٌ حادثٌ ضمنه»¹². وفي السّياق نفسه فقد فصل السّكاكيّ في مفاتيح العلوم القول في مراتب المقام، إذ يقول مستعرضاً إيّاها «فلا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام مُتفاوتة. فمقام التّشكّر يُبين مقام الشّكايّة ومقام التّهنة يُبين مقام التّعزية... وكذا مقام الكلام ابتداء يُغيّر مقام الكلام بناءً على الإستخبار أو الإنكار. وكذا مقام الكلام مع الذكيّ يُغيّر مقام الكلام مع الغبيّ ولكلّ من ذلك مُقتضى غير مُقتضى الآخر»¹³.

ولا شكَّ أنَّ المقامَ مسألةٌ متَّصلةٌ بالمتكلمِ والمستمعِ على حدٍّ سواء، فالأخذُ بعينِ الاعتبارِ موضعَ المتلقي وقدرته على تقبُّل خطابٍ دونَ آخرٍ وتفعيلِ أفقِ إنتظاره هو جزءٌ منَ مُتطلَّباتِ المقامِ ، تمامًا كما هو الموقف حين تُراعى مُتلقياً في كلامه من حيثُ هو فقيرٌ أو غنيٌّ مثلاً ، مثقَّفٌ أو جاهلٌ ، بدويٌّ أو حضريٌّ . فموقعُ المتلقِّي وطرائقُ التواصلِ معه على نحوِ مخصوصٍ يأخذُ بعينِ الاعتبارِ موقعه الثقافي والاجتماعي . فهو من صميمِ الأخذِ بناصيةِ المقامِ . وعليه، فإنَّ مفهومَ المقامِ هو مفهومٌ كليانيٌّ شاملٌ . يمكنُ تضيقه كما يمكنُ توسيعه . فحدوده الدنيا تتمثل في وجودِ مُتخاطبين في مكانٍ و زمانٍ مُعيَّنين . أمَّا في معناه الواسعِ ، فقدَ يشملُ المقامُ ذواتِ المُتخاطبين من حيثُ البواطنِ النفسية والعقائدُ والمقاصدُ وتمثَّل كلُّ مخاطبٍ لصورته وصورة المشاركين له¹⁴ .

وهذه النظرةُ إلى المقامِ ومراتبه وعناصره وملائمته للمقالِ لا تختلفُ كثيراً عما نجدُه عندَ النقادِ العربِ والعربيين على أنَّ الإهتمامَ بالمقامِ قدَ شهدَ في المدارسِ النقدية الحديثة و على وجهِ الخصوصِ المدرسةَ التداعوليةَ توسيعاتٍ وتفريعاتٍ مع بار هلال Bar-Hillel وفيتغنشتاين Wittgensten وشارل سندر بيرس Charles Sanders Peirce ومن ذلك أنَّ فرانسوا لاترافارس Francois Latraverse قدَ أقامَ ثبناً لمختلفِ العناصرِ التي دأبَ الدارسون على اعتبارها مُكوّناتٍ مقاميةً و يَصُمُّ هذا الثبّتُ¹⁵ :

- الأشخاص المشاركون في وضعيّة التلقُّظ أو الذين يستحضّرونهم التلقُّظ عن بُعد .
- الأشياء الحاضرة في وضعيّة التلقُّظ أو الذين يستحضّرونهم التلقُّظ عن بُعد .
- جملةُ المحدثات التي تُهيئُ لوضعيّة الكلام .
- المظاهر السلوكية لدى المُتخاطبين .
- مُحصلة ما يعرفُه الدارس حول الأشخاص وسلوكهم وأشياءهم .
- هويّة المُتخاطبين .
- المؤشّرات المكانية والزمانية .
- ما يعرفُه الدارس عن هذه المؤشّرات وعن الأحداث الطارئة عليها .
- الأقوال الصادرة قبل هذه الأحداث والأقوال المصاحبة لها .
- المقاصد المتبّعة ظاهراً و باطناً من قبل المُتخاطبين .

أمَّا منَ النقادِ العرب، فقدَ أشرنا فيما تقدّم من هذا البحثِ إلى الناقدِ محمد بن عياد ومؤلفه "المقامُ في الأدب العربي" ، حيثُ فصلَ القولَ في مُختلفِ العناصرِ المتعلقةِ بالمقامِ ، و أشارَ إلى مراتبه وإكراهاته والملائمة بينه وبين المقال . كما أشارَ كذلكَ الناقدُ محمد الحُبُو في مؤلّفه "مداخل إلى قصصيّة المعنى" إبانَ مُقارنته للسرديات الإستدلالية إلى ضرورةِ اشتغال الخطّابِ السرديّ بالإرتكازِ على منحنى إستدلاليّ يستصفي المعنى في مقاماتها المدروسة، أي في تشكيلاتها المخصوصة . وقدَ

فرَّع لهذا الغرض من الاستدلال ما يُستدل به وهي التَّحَقُّقات السَّرْدِيَّة والخطَّابِيَّة والإِخَالِيَّة عبر لعبة الضَّمائِر من جهة¹⁶ وما يُستدل عليه وهو المعنى ، كالمعنى الرَّوائي مُرتبطاً بالسياق في باب أوَّل، ومُرتبطاً بالمقام في باب ثَانٍ¹⁷.

وقد آثرنا في هذا البحث أن نستند إلى ما توصَّلت إليه السَّرْدِيَّات الإِسْتِدْلَالِيَّة في تحليل الخطَّاب و أن نجعلها آليَّة في كشف خصائص المقام السَّرْدِيَّ. وقد تخيَّرنا في هذا البحث نادرين لأبي عثمان الجاحظ من كتابه البُخلاء¹⁸ وهما : الشَّيخ المروزي والمسرجة¹⁹ وهذا لا يَكُونُ إلاَّ سَمَوايَاً²⁰ وهي نُصُوصٌ سننطلق منها لبيان أنَّ المقام السَّرْدِيَّ كامِنٌ في ثنايا الملفوظ اللَّغَوِيَّ حتَّى عدا البحث في المقام سَبِيلاً إلى تعميق النَّظَرِ الفَلَسَفِيِّ في الأشياء التي يَحْمِلُهَا الملفوظُ و إعناء النَّصِّ تَأْوِيلِيًّا. ولذلك حرصنا على أن يَتَوَجَّه إِهْتِمَامُنَا في هذا البحث إلى المسائل التَّالِيَّة :

- 1- مَسْأَلَةُ المقام في علاقتها بالخطَّاب في الدَّرْسِ التَّقْدِيَّ قَدِيماً وَحَدِيثاً .
- 2- المقام في علاقته بفعل الإنشاء : فهل يُخضعُ المُنشئُ لإكراهات المقام ؟ ما أثر المقام في إيديولوجيا الكتابة ؟.
- 3- المقام في علاقته بفعل القراءة : إلى أيِّ مدى يُؤثِّرُ المقامُ في توجيهِ فعل القراءة ؟ و دور المقام في توسيع أُفق الخطَّاب و إعنائه تَأْوِيلِيًّا ؟.

II- القِسْمُ التَّطْبِيقِيّ

1- المقام السَّرْدِيّ في النَّادِرَةِ :

إنَّ دراسة النَّادِرَةِ الجاحظِيَّة مُنْزَلَةً في علاقتها بالمقام السَّرْدِيّ هو مَبْحَثٌ يَنْظُرُ في « النَّصِّ خِطَابًا يَقُولُهُ الْقَائِلُ في نِطاقِ تَوَاصُلِيٍّ تَعَامُلِيٍّ مُعْتَبَرًا في ذلك التَّفَاعُلِ بَيْنَ الدَّوَاتِ الْمُتَخاطِبَةِ كَمَا ذَهَبَ إلى ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ فَنِيَسْتٍ »²¹ . و لعلَّ هذا التَّفَاعُلُ بَيْنَ الدَّوَاتِ الْمُتَخاطِبَةِ يُحْتَمُّ عَلَيْنَا التَّعْرِيفَ المَوْجَزَ على الأقلِّ بِهذا الجنس الأدبي الذي يَنْصُوي ثِنِيَّةُ هذا التَّفَاعُلِ ألاَّ وهو النَّادِرَةُ . فَالنَّادِرَةُ لُغَةً « هي ما شَذَّ وَخَرَجَ مِنَ الْجُمُهور . و هي إصْطِلَاحًا فنٌّ مِنْ فُنُونِ الأدبِ وَجِنْسٌ أدبيٌّ ابْتَدَعَهُ الجاحِظُ . و تُعْرَفُ أَيْضًا بِكُونِهَا ما أَضْحَكَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ أَوْ هَيْئَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ ، وبِأَنَّهَا الكَلَامُ الغَرِيبُ المورِى الذي يَكُونُ باطنُهُ على غَيْرِ ظاهِرِهِ »²². فَالنَّادِرَةُ نَوْعٌ شَيِّقٌ مِنْ أَنْواعِ القِصِّ العَرَبِيِّ « وهي مِنْ أَقْدَمِهَا إِبْتِغَاءً . و لعلَّها مِنْ أَكْثَرِها قُدْرَةً على الدِّيُوعِ والإِنْتِشارِ بَيْنَ النَّاسِ سِوَاءَ بِطَرِيقِ السَّماعِ أَوْ بِطَرِيقِ القِرَاءَةِ »²³.

ولا شَكَّ أنَّ صِيَاغَةَ كِتَابِ البَيانِ والتَّبَيُّينِ قَدْ نَحَضَتْ أَساساً على تَكْرِيسِ مَفْهُومِ البَيانِ القائمِ على الفَهِمِ والإفْهَامِ وصِيَاغَةَ مَلاحِجِهِ وَبَيانِ عَنَاصِرِهِ . و لعلَّ المقام أَوْ ما وَسَمَهُ الجاحِظُ بالمَوْضِعِ في مُناسَباتٍ عَدِيدَةٍ يُعْتَبَرُ مِنْ أَبرزِ المَقَوِّماتِ في مُقارِبَةِ الجاحِظِ لِمَسْأَلَةِ البَيانِ . بلْ شَرْطاً أَساسِيًّا لَتَحَقُّقِهِ لَكُونِ الخِطابِ التَّلَفُّظِيِّ يَتَأَدَّى بِمُراعَاةِ مُقْتَضَى الحَالِ وَمُناسَبَةِ القَوْلِ وَتَصْرِيفِ اللُّغَةِ على أَوْجِهٍ شَتَّى مع الأَخْذِ بَعَيْنِ الإِعْتِبارِ أَصْنَافِ المُتَلَفِّظِينَ بالكَلَامِ و إِنْتِمائِهِمُ الإيديولوجيِّ والمَعْرِفِيِّ والإِجْتِماعِيِّ وذلك بِغَايَةِ تَحْقِيقِ الإِسْتِدْلالِ السَّرْدِيِّ لِلُّغَةِ وهي تُنْجِزُ مِنْ قَبْلِ المُتَلَفِّظِينَ بِها . غَيْرَ أَنَّ هذا الخِطابَ التَّلَفُّظِيَّ وهو

يَتَشَكَّلُ قَدْ يَتَعَرَّضُ إِلَى مَا يُعَوِّقُهُ وَيُعْطِلُ مَسَارَ التَّوَاصُلِ ثَنِيَّةً . فَلَا تَتَحَقَّقُ الْإِبَانَةُ وَالْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُرْوَاهُ الْمُتَلَقِّظُ مِمَّا يُجْبِرُ الْقَائِلَ عَلَى التَّفَقُّنِ إِلَى إِكْرَاهَاتِ الْمَقَامِ السَّرْدِيِّ وَتَذَلُّلِ الصَّعُوبَاتِ فِيهَا مِنْ خِلَالِ تَوْظِيفِ الْأَسَالِيبِ السَّرْدِيَّةِ وَالبلاغية واللغوية المناسبة لتحقيق المقصد من العملية التخاطبية .

إِفْتَتَحَ الْجَا حِظُ " كِتَابِ الْبُخْلَاءِ " بِمَقْدَمَةٍ طَرَحَ فِيهَا مَوْضُوعَ كِتَابِهِ وَ مَحْتَوَاهُ وَ مِنْهَجِهِ فِي تَأْلِيفِهِ كَمَا طَرَحَ فِيهِ بَعْضُ مَوَاقِفِهِ النَّقْدِيَّةِ وَ الْأَدَبِيَّةِ لِيَنْصَرِفَ إِلَى مَوْضُوعِ كِتَابِهِ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ الْبُخْلِ وَ الْبُخْلَاءِ أَسَاسًا فِي إِطَارِ فَنِّ قِصَصِي يُعْرَفُ بِالنَّادِرَةِ . يَقُولُ الْجَا حِظُ فِي هَذَا الْإِطَارِ : « وَلَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ تَبَيَّنَ حِجَّةٌ طَرِيقَةٌ أَوْ إِسْتِفَادَةٌ نَادِرَةٌ عَجِيبَةٌ أَوْ تَعْرِفُ حِيلَةً لَطِيفَةً وَ أَنْتَ فِي ضِحْكٍ مِنْهُ إِذَا شِئْتَ وَ فِي هُوَ إِذَا مَلَلْتَ الْجَدَّ »²⁴ . وَقَدْ اسْتَهْلَ الْجَا حِظُ كِتَابَهُ بِرِسَالَةٍ سَهْلٍ بَنِ هَارُونَ إِلَى بَنِي عَمِّهِ حِينَ ذَمُّوا مَذْهَبَهُ فِي الْبُخْلِ وَ تَبَتَّعُوا كَلَامَهُ فِي الْكُتُبِ ، وَ اتَّبَعَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِطَرَفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، يَقُولُ : « وَنَبْتَدَأُ بِرِسَالَةٍ سَهْلٍ بَنِ هَارُونَ ، ثُمَّ بِطَرَفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ لِإِكْثَارِ النَّاسِ فِي أَهْلِ خِرَاسَانَ »²⁵ .

ثُمَّ يُورِدُ الْجَا حِظُ نَوَادِرَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنَ الْمُسْجِدِيِّينَ وَ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُخْلَاءِ كَانُوا « مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْاِقْتِصَادَ فِي النَّفَقَةِ وَ التَّنْمِيَةَ لِلْمَالِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَنْعِ وَ الْجَمْعِ . وَ قَدْ كَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ صَارَ عَنْدهُمْ كَالنَّسَبِ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى التَّحَابِّ وَ كَالْحِلْفِ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى التَّنَاصَرِ . وَ كَانُوا إِذَا اتَّفَقُوا فِي خَلْقِهِمْ تَذَاكُرُوا هَذَا الْبَابَ وَ تَطَارَّحُوا وَ تَدَارَسُوهُ »²⁶ . فَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَاتِبَ يَمَيِّزُ « بَثْرَاءَ الذَّاكِرَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَهْلُ مِنْهَا الْكَاتِبُ مُخْتَلَفَ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ وَتَفَاصِيلِ الْأَشْيَاءِ . وَلَا يُخْفَى عَلَى الْقَارِئِ الْأَرْبَابِ أَنَّ دَقَائِقَ عَالَمِ الْبُخْلِ لَا يُمكن أَنْ يَسْتَوْعِبَهَا قَالِبٌ حَوَارِيٌّ وَاحِدٌ بَلْ يَخْتِاجُ إِلَى هَذَا الشَّكْلِ الْبَسِيطِ الْمَوْلَّدِ لَضُرُوبِ الْأَقْوَالِ الْمَمَّهْدِ لظُهُورِ الْأَجْنَاسِ الْأَدَبِيَّةِ (لَا سِيَّما الْحَوَارِيَّةِ مِنْهَا)»²⁷ . وَفِي هَذِهِ التَّصَوُّصِ الَّتِي نَحْنُ نَحْنِزُهَا لِلدِّرَاسَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ فِي هَذَا الْبَحْثِ نَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِهِمْ.

المقام السَّرْدِيّ فِي نَادِرَةِ الشَّيْخِ الْمَرْوَزِيِّ وَ الْمُسْرَجَةِ (النَّادِرَةُ الْأُولَى)

تمهيد:

الشَّيْخُ الْمَرْوَزِيُّ وَ الْمُسْرَجَةُ نَصَّ نَثَرِيَّ قِصَصِيَّ يَنْتَمِي إِلَى جَنْسِ النَّادِرَةِ يَتَوَفَّرُ عَلَى مُخْتَلَفِ التَّقْنِيَّاتِ الْقِصَصِيَّةِ مِنْ قِبَلِ السَّرْدِ وَ الْحَوَارِ وَ الْوَصْفِ. وَقَدْ صَدَّرَ الْجَا حِظُ كِتَابَهُ بِرِسَالَةٍ سَهْلٍ بَنِ هَارُونَ فِي الْبُخْلِ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِطَرَفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ « وَ نُخَصِّ بِذَلِكَ أَهْلَ مَرْوَ بِقَدْرٍ مَا خَصَّوْا بِهِ »²⁸ وَ إِلَيْهِمْ يَنْتَمِي هَذَا الشَّيْخُ الَّذِي يُعَدُّ الشَّخْصِيَّةَ الْحَوَارِيَّةَ فِي هَذِهِ النَّادِرَةِ. وَلَا يُخْفَى عَلَى الْمُتَلَقِّظِ فَعْلَ الْمَقَامِ فِي نِسْبَةِ الشَّيْخِ إِلَى أَهْلِ مَرْو . وَ فِي هَذِهِ النَّادِرَةِ يَنْهَلُ الْجَا حِظُ مُجَادَلَةَ الْمَرْوَزِيِّ لِلشَّيْخِ الْخِرَاسَانِيِّ لِإِسْتِبْدَالِ مُسْرَجَةِ الْخَزَفِ بِقَنْدِيلٍ مِنْ زُجَاجٍ تَلَفُفًا لِلْخُسَارَةِ . وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِفْصَاحَ عَنْ مَوْضُوعِ الْمِجَادَلَةِ هِيَ تَقْنِيَّةٌ مَقْصُودَةٌ لِإِثْرَاءِ الْمَقَامِ السَّرْدِيِّ وَ الْكَشْفِ عَنْ مُكَوِّنَاتِهِ (مُسْرَجَةُ خَزَفٍ وَ قَنْدِيلٍ مِنْ زُجَاجٍ). فَمُنْذُ الْبَدَايَةِ تَكْشِفُ النَّادِرَةُ عَنْ ظُرُوفِ الْمِحَاوَرَةِ وَ مُلَابَسَاتِهَا . وَ هَذَا الْكَشْفُ وَ الْإِفْصَاحُ مِنْ شَأْنِهِ الْإِبَانَةُ عَنِ الْمَقَامِ السَّرْدِيِّ وَ تَحْدِيدَ مَقَامِ التَّلَقُّظِ وَ مَقَاصِدِهِ مِمَّا يَخْلُقُ لِلْمُتَلَقِّظِ مَرْجِعِيَّةً مَقَامِيَّةً تَكْتَسِبُ حُضُورَهَا مِنْ نِسْبَةِ الرَّجُلَيْنِ إِلَى الْقَبِيلَةِ مِنْ نَاحِيَّةٍ وَ كَشْفُ مَوْضُوعِ الْجِدَالِ مِنْ نَاحِيَّةٍ ثَانِيَّةٍ.

ويمكن تقسيم هذا النصّ السردّي إلى مقطعين حسب ثنائية الخبر و التعليق على الخبر، أمّا المقطع الأول فيمتدّ من البداية إلى " مسارج الحجارة و الخزف " وهو المقطع الخبري ، و أمّا المقطع الثاني فيمتدّ من قول السارد " و أبو عبد الله هذا ... " إلى : آخر النصّ وهو مقطع التعليق على الخبر .

وفي الأثناء يمكن تقسيم المقطع الأول إلى وحدتين سرديتين حسب ثنائية السند و المتن ، أمّا الوحدة الأولى فيُمثّلها السند وهي " قال مثنى بن بشير " أمّا الوحدة الثانية فيُمثّلها المتن الحكائيّ وتمتدّ من قول السارد من " دخل أبو عبد الله المروزيّ ... إلى " ... مسارج الحجارة و الخزف " فبنية الخبر بناءً على ما تقدّم تتنزل في باب السرد القصصيّ الحكائيّ طالما أنّها تنهض على ثنائية السند و المتن . ويعملُ المقام السردّي على تفعيل المقام التعمليّ بحيث تتحرّك الشخصيات القصصيّة في هذه النادرة بحسب ما يُمليه المقام السردّي ويُحدّده، لذلك ستكوّن مختلف التداخلات من قبل المتحاورين خاضعةً لإكراهات مقامية تنشط كلّها للإشادة بقيمة البُخل وتكريسها . وهو ما يُبرّر اللجوء إلى النظر في وحدات النادرة الدّنيا والنظر في مكوّناتها لكونها على صلة وثيقة بالمقام السردّي .

1- مرجعية المقام السردّي :

فقد أفتتحت النادرة بالسند على سبيل الجملة الفعلية بقوله : قال مثنى بن بشير، وللسند ههنا وظيفة إقناعيّة وإبلاغيّة يقرّضها المقام المرجعيّ للزاوي الأول ، ذلك المرجع هو بمثابة القرينة الأدبيّة التي تُأصل النصّ في تاريخه الثقافيّ الأدبيّ . و لإذكاء المقام السردّي و إثرائه أُسند فعل التلقّظ إلى شخصية واقعيّة هي مثنى بن بشير باعتباره راويًا أولاً لهذا النصّ . و لعلّ ما يدعّم حضور المقام السردّي ومُلازمته لعملية التلقّظ اللغويّ وجود راوٍ ثانٍ هو الجاحظ . و قد ذُكر الزاوي الأول للنصّ باسمه ضمناً للبعد الواقعيّ (صلة الأدب بالواقع) أو إيهاماً بالصدق و تيسيراً للإقناع والإبلاغ . ولا شك أنّ كليهما على علاقة وطيدة بتثبيت المقام السردّي أولاً .

كما يمكن أن ينهض السند بتدعيم مركزية المقام من خلال عدّة وظائف ، فهو علامة إلتواء النصّ إلى أفق قصصيّ قديم ذي مرجعية مقامية معروفة (تقليدية) ذلك أنّه ينتمي إلى الثقافة الشفويّة . و قد برز خاصّة في النصّ الدّينيّ من خلال رواية الأحاديث النبويّة . إذ كان الإسناد ينهض بوظيفة التأكيد على مصداقية المتن . و إنتقلت هذه الظاهرة إلى الأدب و القصّ . فأصبح السند للإيهام بمصداقية ما يُروى في النادرة وجزءاً أساسياً من المقام السردّي الذي يُيسّر عملية الفهم و الإفهام لمسار القصّ داخل النادرة . فكأنّ الكاتب على ما يبدو في ظاهر النصّ أنّه يستقي نواته من أفواه الناس .

وقد حرص الجاحظ « على تقديم فئة البُخلاء على أنّهم ممن تكلفوا صفات وإصطنعوها . وهي ليست ممّا جرى من قيم بين الناس مثل الجود والحزم والإصلاح . و هي قيم وصلوها بالقبح . فلمنع عندهم حزم والبخل وإصلاح والشح إقتصاد بينما حوّلوا المعتمد من القيم عيوباً كالجود يُصبح سرفاً والأثرة جهلاً »²⁹ . ولعلّ هذا التحوّل في مفهوم القيم عند البخيل في نواتر الجاحظ سيطلب في نفس الوقت تغييراً في المقام السردّي وضرورة إيجاد مقام صالح لمقال البخيل طالما أنّه يعمل على إعطاء

فهم جديد لمختلف القيم المذكورة من قبيل البخل والكرم والجود والحزم. « فالخاصية الأولى للمقام مما يتعين التأكيد عليها هي الصفة أو الميزة الديناميكية المحركة. فليس المقام مجرد حالة لفظ و إنما هو على الأقل متواليّة من أحوال اللفظ وفضلاً عن ذلك لا تظلّ المواقف متماثلة في الزمان و إنما تتغير وعلى ذلك ، فكلّ مقام هو عبارة عن إتجاه مجرى الأحداث »³⁰.

إنّ تغييراً في مفهوم المقام السردّي يبدو ضرورياً لمواكبة المقام البخل عند الشخصيّة القصصيّة فهو بمثابة نظام قيميّ لديّها تُفسّره حسب منظومة البخل السائدة عند البخلاء وفي الكتاب برّمته. وما تتطلبه من شروط وآليات يجب أن تتماشى مع المقام السردّي. هذه الآليات يستحيل بموجبها المنع حزمًا والشّح إقتصاداً لذا نزعّم أنّ المقام السردّي سيكون تقنيةً فاعلةً في أثناء السرد داخل النّادرة ، بل إنّ الملتفّظ بالخطاب السردّي في النّادرة سيعمل جاهداً على تبرير مختلف التحوّلات التي يمكن أن تطرأ على المقام ليلائم ما يرومه الملتفّظ البخل من نشر وتكريس لمنظومة البخل ، ممّا يستوجب « الإتيان بتركيب مُعين للكلمات وفقاً لما تملّيه مُلابسات الموقف »³¹. إنّ نادرة الجاحظ تكتسب طرافتها وجدّتها ونادريتها أيضاً من خلال دورانها من مقام سردّي إلى آخر « فهي بين أصحاب الجمع والمنع نصّح وحكمة وهي في الكتابة الجاحظيّة عجب وهو وهزل »³².

1- تسريد المقام وإثرائه للبنية القصصيّة :

في هذه الوحدة الثانية الموسومة بالمتن الحكائيّ قامت هذه الوحدة السردية على أنماط مختلفة من الكتابة من قبيل: الخطاب السردّي والخطاب الوصفّي والخطاب الحواريّ ، و هي أنماط قصصيّة يعمل من خلالها الراوي على تسريد المقام السردّي ، فيتجلّى في الخطاب السردّي كما في الخطابين الوصفّي والحواريّ. فإذا هو مقام مُسرّد يُقدّم في صلب الحكاية تُحيل عليه اللّغة وتختلف الأساليب المستعملة من قبل الملتفّظ .

فقد امتدّ الخطاب السردّي من قول السارد " دخل أبو عبد الله ← الخزيّة الخضر " حيث بدت بنية الأحداث في النّادرة مُتصلة كلّها بالمرجة والسرد يقوم على مبدأ الإقتصاد في الأحداث و الأوصاف . فقد حُذفت الزوائد في كامل النصّ خدمةً للمقام وتكريساً لفاعليّته " دخل... فإذا هو قد استصبح في مرّجة " . ويقتصر مؤلف النّادرة على سرد الأحداث المحوريّة التي تتقدّم بالنّادرة نحو الهدف المنشود و الأحداث المحوريّة كلّها لا ترسم حدثاً بقدر ما ترسم عملاً . و قد وُظف السرد للتمهيد للحوار و ذلك بتحديد : الشخصيّات والفعل القادح للحوار فشخصيّة المروزي من ناحية وشخصيّة الخرساني من ناحية ثانية وكلاهما ينتميان إلى مقام مُعين (مرو) : مدينة من إقليم خرسان أهلها أكثر أهل الإقليم بخلاً و (خرسان) : إقليم بخرسان اشتهر أهلُه بشدّة البخل . فمرو و خرسان ، مدينتان معروفتان وذلك تأصيلاً للنصّ في الواقع وتجسيدياً لإحداثيات المقام التي تُنجز من خلالها الشخصيات وظائفها القصصيّة، ممّا يُضفي عليه مظهرًا من مظاهر الطرافة والجدة تتصل أساساً بقيم البخل والبخلاء .

أمّا الخطاب الحواريّ في هذه النّادرة ، فطرافه أبو عبد الله المروزي و شيخ من أهل خرسان . وقد ورد الأول معرفة و الثاني كالنكرة (شيخ من أهل خرسان) ، و تكشفُ المحاورَة عن أطراف التّواصل فيها . فالمقام السردّي هنا يرتبط أساساً

بالمختاطبين وهوياتهم و موضوع الحوار بينهم و هو المسرحية. وقد بدا المروزي في هذه النادرة ذا معرفة نصوح ومُرشد إلى الصواب من خلال ما تواتر من أساليب من قبيل . (عاتبتك ، أو ما علمت ، ليس هذا أريد ، أما علمت.) أما الشيخ الخرساني، فقد بدا باحثًا عن حلول طالبا للنصيحة والتوجيه (جعلت فداك ، فكيف أصنع جعلت فداك ؟) . فهو راغب في الاستفادة من علم المروزي. و يخاف التفويت ، ويخشى التفريط فالعلاقة بين الشيخ المروزي و الخرساني في هذه المحاور قائمة على الاتصال، فكان الطرف الأول ناصحا مرشداً و الطرف الثاني مُستجيباً مُقتنعا ، على أنّ الشيخ المروزي قد كان هو المبادر بالكلام . و كان أيضاً مُهميماً عليه ، مما يُحيل على مُفاضلة ضمنيّة بين أهل مرو و أهل خراسان في البُخل .

وقد تضمّن الخطاب الحواريّ مجموعة من الحجج الإستدلالية نهضت أساساً على أطروحتين أساسيتين قوامهما :

. الأطروحة المدحوضة : استعمال مسرحية الخزف حكمة و إقتصاد ...

. الأطروحة المدعومة : القنديل الزجاجي أفضل و أكثر توقراً و إقتصاداً ...

وقد تضمّن هذا النصّ السرديّ بناءً ثنائياً يُعتبر مظهرًا من مظاهر الحجاج (لما كان الشيخ المروزي مُسيطرًا على الحوار و الشيخ الخرساني مُكتفياً بالإنصات مُتسائلاً و مُستفسراً فإنّ الحوار قد أخذ اتجاهاً واحداً . فكان الشيخ المروزي في حجاجه يقوم بعملين متوازيين يتطلّبهما المقام السرديّ :

. الأول: تفنيد أطروحة الطرف المقابل و إظهار مساوئ فكرته.

. الثاني: التأسيس للبدل و تقديم الحجج على صحته و صلاحه ، و بذلك فالغاية من الحجج هي إبطال رأي الخرساني و إقناعه بالرأي البديل .

وبناءً على هذا التغيّر في مكونات المقام السرديّ ، تنوّعت بذلك الحجج وتباينت ولعلّ أبرزها :

1. حجج عقلية: وهي تلك التي قامت على الواقع و على القياس و التجربة و المقارنة من قبيل ما أورده السارد بقوله "... فلو قست ما يتشرب ذلك المكان ..." / أصحاب الفساد ...

2. حجج نقلية: تعلّقت أساساً بالنصّ الدينيّ " من أطعم النّار جعله الله يوم القيامة طعاماً للنّار " و " الله نور السماوات و الأرض ← حجة سلطة

وعليه فإنّ نظام البُخل لدى أمثال المروزي و الخرساني يبدو مُستنداً إلى مرجعية قوامها إيلاء المقام منزلة تُيسّر تحقيق التّواصل . فقامت الحجج على إعمال العقل و إتباع الشريعة . فبهذه الحجج المختلفة يشرع المروزي " لنظام البُخل " مُستنداً إلى مرجعية عقلية و دينية مُحدّثاً المفارقة بين الخطاب الصّارم المتماusk و موضوع الخطاب التّافه. وليتأكّد التّواصل بين أطراف العملية التّخاطبية تدعّمت هذه الحجج بمجموعة من الأساليب الحجاجية المتنوّعة والمتباينة من قبيل الجمل الخبرية التقريرية مثل (و هذا كلّه خسران و غبن لا يتهاون به إلّا أصحاب الفساد ... / الزجاج أبقى على الماء من الذهب الإبريز) كما تواترت تقنيّتا التأكيد و القصر (أنّك متى وضعت ... / إنّما يطعمون) و التراكيب الشرطيّة المتلازمة : متى وضعت مسرحية ... / و إذا وقع شعاع النّار ... / و إن كان سقوطه على عين إنسان ... و صيغ التفضيل (للمقارنة) : أحفظ ، أبقى

..على أنّ كلّ هذه الأساليب المتواترة في النادرة من شأنها مُواكبة مُختلف التّحوّلات التي يشهدها المقام السّرديّ لتتماشى مع النّظام القيميّ للبخیل . وثیسر له الإبلاغ والإقناع بطرافة مذهبه في البُخل .

ولعلّ من شأن هذا الأسلوب أنّ يدعم صبغة الحجاج التي قام عليها النّصّ، كما يدعم النزعة التّعليميّة التي قام عليها كلام المروزيّ . هذا التّآلف بين المقام السّرديّ ومُختلف الأساليب المتلقّظ بها من شأنه أنّ يُحقّق غایتين: غاية ظاهرة بارزة قوامها حسن التّصرّف و الإقتصاد و غاية باطنة مضمرة : قوامها الجمع و البخل و التّقدير . وتلك المفارقات من شأنها أنّ تمثّل عاملاً من عوامل الإضحاك في النّادرة أسهم المقام السّرديّ في إنتاجه وجعله ميزة النّادرة وأسلوبها.

أمّا المقطع الثّاني من هذه النّادرة فهو بمثابة التّعليق على الخير . فقد قام على كثافة صيغ التّفصيل : أطيب ، أملح ليكوّن بذلك مُراوحة بين صفات سلبيّة و أخرى إيجابيّة، حيثُ تدخّل الجاحظ في خاتمة النّصّ للتّعليق على شخصيّة المروزيّ باعتباره البخیل التّمودج . و قد إقترنت صيغ التّفصيل بصفات سلبيّة من قبيل : البخل + الرّياء ≠ أطيب الخلق ، حيثُ جُمعت الصفات السلبيّة و الإيجابيّة في ذاتٍ واحدةٍ و هو ما يولّد المفارقة ويُحيل على سعة علم الجاحظ بفئة البُخلاء و إقرارهم بتفاوتهم في درجة البُخل و بقدرتهم على الاحتجاج لمذهبهم مُستغلين بذلك مقاماً سرديّاً يسمح لهم بالتّصريح بمذهبهم والكشف عن معامله. هذا التّعويل على المقام السّرديّ سيتواصل في مختلف نواذر الجاحظ . وسيكون السّمة المميّزة لمثل هذه النّصوص السّرديّة . والنّادرة المواليّة " مثل هذا لا يكون إلاّ سماءياً " تُعدّ في اعتقادنا أنموذجاً آخر على مركزيّة المقام العامل في نصوص الجاحظ.

مثل هذا لا يكون إلاّ سماءياً . (النّادرة الثّانيّة)

تمهيد :

تدور الأحداث القصصيّة في هذه النّادرة "مثل هذا لا يكون إلاّ سماءياً" - وهي من أشكال الأدب القصصيّ في القديم- حول أناس إجتمعوا في المسجد يتحدّثون في مسائل تتعلّق بالإقتصاد في التّفقة والتّثمير للمال من أصحاب الجمع و المنع . « وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التّحاب والحلف الذي يجمع على التّناصر، وكانوا إذا اتفقوا في حلّهم تذكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه إلتماساً للفائدة وإستمتاعاً بذكره»³³ . وهذه النّادرة نصّ نثريّ قصصيّ ومقام يتواجه من خلاله شخصيتان . وقد جمع بين أنماط الكتابة المختلفة من سرّد و وصف و حوار و حجاج وهي ذات بُعد حضاريّ و هزليّ تنتمي إلى جنس النّادرة.

و في هذا النّصّ يبرهن شيخ بخيل على أطروحته في تثمير المال من خلال جملة من الحجج المنطقيّة. و يُورد قصّته مع النّخالة و كيفيّة إستغلالها حجّة واقعيّة على ذلك . وكعادته، فقد حاول الجاحظ أنّ ينثقي « نماذج إجتماعيّة مخصّبة فنيّاً . وهي نماذج ذات جماليّة مُتميّزة يمكن أنّ تتحوّل إلى غرض أدبيّ في نوع أدبيّ نشط الجاحظ في الكتابة فيه كنموذج البخیل في النّادرة . غير أنّ هذا التّحليل لا يعني أنّ أدبيّة النّصّ تكمن في مضمونه بلّ يعني أنّ نموذج البخیل مثلاً يمكن الجاحظ المتكلّم من

صرف الموضوع عن غايته الإجتماعية وبعده الواقعي ومن جعله ذا غاية كلامية ، لغة البخيل فيه هي البخل عينه. فالبخل يحول الموضوع الحضاري إلى نشاط ثقافي يُصبح به القول في البخل غايةً في ذاته ³⁴.

و يمكن تقسيم هذا النصّ إلى مقطعين حسب ثنائية القصة الإطار و القصة المضمنة ، أمّا المقطع الأول : فيمتدّ من بداية النادرة إلى " به مائة جريب " و " قال القوم صدقت مثل هذا لا يكتسب بالرأي و لا يكون إلاّ سماويًا . ويحاول الشيخ البخيل من خلال القصة الإطار البرهنة على أطروحته في تثير المال من خلال جملة من الحجج العقلية المنطقية . أمّا المقطع الثاني فيمتدّ من قوله " ثم قال قد إشتكيت أيامًا صديري ... " إلى قوله : " و ما أشكّ أنّ تلك المشورة كانت من التوفيق " و القصة المضمنة هنا تحوّل حول قصة السعال و ماء النخالة .

كما يستجيب نصّ النادرة إلى تقسيم آخر بالاعتماد على مختلف التقنيات السردية . فهناك مقطع أول وهو مقطع حجاجي و ينتهي عند " به مائة جريب " . و الثاني قصصي و يمتدّ على كامل النصّ . و يمثل هذا النصّ في بنيتها الخارجية أحد نماذج بناء النادرة حيث نجد قسمًا أولًا يكون تحليليًا تجريديًا نظريًا يقوم على أطروحة و قسمًا ثانيًا يكون قصصيًا تجريبيًا واقعيًا هو بمثابة الحجج على تلك الأطروحة .

1- المقام السردّي في الخطّاب الحجاجي :

ففي هذا النصّ تناول شيخ من المسجدين ظاهرة تثير المال و الإقتصاد في التفقة تناولاً نظريًا في القسم الأول من خلال أطروحة مفادها " أنّ أول كلّ كبير صغير " . ثمّ يحلّل أطروحته و يتوسّع في شرحها . و يدعمها بحجج عقلية منطقية مجردة لينتقل في القسم الثاني من النصّ إلى مزيد الدعم من خلال قصته مع السعال و ماء النخالة لتكون هذه القصة بمثابة الحجة الواقعية أو الحجة المثال. هذا الانتقال سيكون مضمحوبًا بتغيّر المقام السردّي ليتحقّق الدعم « فليس المقام سياقًا ثابتًا مستقرًا و إنّما هو مُتغيّر بتغيّر الأوضاع القولية ومناسبات القول لدى المتخاطبين أثناء تعامل بعضهم مع بعض » ³⁵.

وبالنظر في القصة الإطار في هذا المقطع الأول " ثمّ اندفع شيخٌ منهم فقال : " نلاحظ أنّ عملية التلقّظ قد أستهلتّ بأداة الاستئناف (ثمّ) ، ممّا يحيل على وجود كلام سابق هو جملة من نواذر أهل البصرة من المسجدين [نادرة صاحب الحمار و الماء الأجاج و نادرة مريم الصّناع] فالنصّ من هذه الناحية هي أحد هذه النواذر . فوظيفة هذه الجملة الأولى من النصّ لها وظيفة تأطير ما جاء بعدها و التمهيد له في مقام سرديّ إحاليّ يمكن أن نمثّل له بما يلي :

اندفع : فعل يعبر عن حركة فيها تحمّس و نشاط و إقدام ...

شيخ : شخصية من شخصيات المسجدين : امتلاك المعرفة

و التجربة و والعلم عن أمثاله تصدر الحكمة فهو كالمعلم ..

منهم : يعود الضمير على أهل البصرة من المسجدين ممّن ...

. قال : فعل قول ، منسوب إلى الراوي .

بُني نمط الكتابة في هذه النادرة على الحجاج ، و المحاج هنا هو الشيخ في إحالة على إمتلاك العقل و العلم و المعرفة و التجربة. و قد تجلّت الأطروحة من خلال قوله " إنّ أوّل كل كبير صغير ". وفي محاولة من المتلقّظ توضيح المقام السردّي في هذه النادرة توّسل بمجموعة من الأساليب اللّغويّة الحجاجيّة التي من شأنها أن توضح مُلابسات القول وعلاقته بالمقام السردّي «فالقائل لا يقول قوله لغاية الإخبار كما وقع وحصل فحسب ، بلّ يقولهُ ليُحقّق أَعْمَالاً لا قوليّة أو ما يُسمّيها بعضهم أَعْمَالاً مضمّنة في القول أو مقصودة بالقول ، و هي ما يُنجزه من إثبات أو إستفهام أو أمر أو تحذير أو تعجّب أو تعبير أو غيرهما من تلك الأَعْمَال التي نحققها ونُحْثِر نتكلم لغاية إيقاع عمل تأثير بالقول بحسب ما ذهب إليه " أوستين وسيرل " وغيرهما من فلاسفة اللّغة »³⁶.

فمن أبرز الأساليب اللّغويّة الحجاجيّة نذكر التّداء : " يا قوم ... " النهي : لا تحقروا . و الإستفهام الإنكاريّ : و هل بيوت الأموال إلّا درهم على درهم ؟ / و هل الدرهم ... ؟ و أ و ليس ... ؟ و هل اجتمعت ... ؟ كما تواتر الأسلوب الخبريّ : التّاجر الصّغير و كيف يحصل المال الكثير من الحبّة و الحبّتين ربّما ... و التّرجيح و التّأكيد : و لربّما رأيته يبيع ... الكلمات المبهمة و الجمع : الأمور الأموال ههنا [رمل عاجل / ماء البحر] ...

كما عمد المتلقّظ بالخطاب إلى التّوليد المنطقيّ من قبيل قوله و هل بيوت الأموال إلّا درهم على درهم ؟ و هل الدرهم إلّا قيراط إلى جنب قيراط و هل اجتمعت بيوت الأموال إلّا بدرهم من ههنا و درهم من ههنا : درهم ← قيراط ← أموال ...

أمّا الأساليب البلاغيّة ، فقد حضر في هذه النادرة : الطّباق : صغير ≠ كبير / يعظم ≠ صغيرا / يكثر ≠ قليلا / الصّغار ≠ الكبار ... و التّكرار : درهم ، درهم / قيراط ، قيراط / مائة جريب مائة جريب / صغير ، صغيرا / يعظم ، عظّمه / يكثر ، كثره / المال ، الأموال / ... و التّشبيه : كذلك رمل عاجل و ماء البحر و المجاز : " إعتبار ما سيكون " : ربح الحبّة و الحبّتين .. و الكناية : رمل عاجل و ماء البحر. أمّا المعجم فقد حفل بالأسماء حيّنا وبالأفعال حيّنا آخر من قبيل درهم ، قيراط ، يكثر ، يربح ، المال ، الأموال ، اشترى ... : معجم المال و التّشهير " الجمع و المنع " .

وقد يحتاج المقام السردّي في هذه المحاورة التّوسّل بمجموعة من الحُجج ليكون التّلقّظ اللّغويّ قادراً على تبليغ المقصد والدّلالة . فتواترت بناء على ذلك مجموعة من الحُجج لعلّ أبرزها :

. حجة ضرب المثل : و هل بيوت الأموال إلّا درهم على درهم ؟ / أو ليس كذلك :

. رمل عاجل : حبة رمل + حبة رمل

. و ماء البحر : قطرة + قطرة .

. الحجّة الدينيّة : " و متى شاء الله أن يعظم صغيرا عظّمه و أن يكثر قليلا كثره " .

. الحجّة العقليّة المنطقيّة : " و هل الدرهم إلّا قيراط إلى جنب قيراط ؟ " ...

. حجة المماثلة و المثل : صاحب السّقط يشتري مائة جريب

لقد استعمل هذا الشيخ خطاباً حجاجياً مقنعاً و قوياً بقيامه على أساليب و حجج متنوعة تُهدف إلى الإقناع التام بالأطروحة : " إنّ أول كل كبير صغير ". فغاية البخيل من وراء حجاجه و أطروحاته لا تكمن في إقناع الجماعة فحسب ، بل تُهدف أيضاً إلى إبهارهم و إثارة عجبهم . فهم في حلقة أشبه ما تكون بحلقة الدّرس و المكانة الرّفيعّة و المقام الكبير لأكثرهم حرصاً و قدرة على تجميع المال و الوصول إلى ما لا يعرف من أبواب الإصلاح " لا تعلم أنّك من المسرفين حتّى تسمع أخبار الصّالحين " لأنّ البخل عند هذه الجماعة كالمذهب أو التّسبب فهو مجال للتنافس و السباق ...

كما ينعكس هذا الأسلوب الحجاجي و هذه الحجج المتنوّعة كذلك ثقافة بخيل الجاحظ. فهو و لئن كان بخيلاً فإنّه بخيل " مثقف " و صاحب " كلام و ملحّة " يتميّز بحضور البديهة و دقّة الملاحظة و الحجّة الحاضرة و الثّقافة الدّينيّة و حتّى الفلسفيّة التي تمكّنه من الدّفاع عن مذهبه في البخل الأمر الذي يعكس بدوره الحياة الثّقافيّة بالمجتمع العبّاسي في القرن الثالث و ما وصلته من ازدهار. فخباً توهّج الشّعور و الخيال و نما إشعاع العقل و التّفكير و التّأطّرات و علم الكلام .

أمّا في المقطع الثّاني من هذه النّادرة والتي افتتحها المخاطب بقوله ثمّ قال في إحالة على إستئناف القول و مؤشّر على تحوّل الخطاب من حجاجي إلى قصصي . فالخطاب القصصي في هذه النّادرة يبدو عاملاً مُساعداً على إثراء المقام السّردّي من خلال الرّواي الذي ينقل ما حدث له : " قد اشتكيّت أيّاماً من صدري : فهو من هذه النّاحية راو ينهضُ بوظيفة مزدوجة قوامها سرد الأحداث القصصيّة والمشاركة فيها باعتباره راوياً و شخصيّة في آن ممّا يُضفي على الأحداث مصداقيّة تُوهّم بواقعيّة القصة والمقام في آن، طالما أنّه ينقل أعمالاً يحقّقها المتخاطبون في تلقّظهم بالخطاب السّردّي. كما أسهمت البنية القصصيّة في الإحالة على المقام السّردّي حين أشار السّارد إلى الوقوع في نقص من ناحية " اشتكيّت أيّاماً من صدري " : المرض و السّعي إلى سدّ النّقص من ناحية أخرى بقوله : إقترحت عليه جملة من الأدوية : الفانيد السّكريّ / الخزيرة / أشباه ذلك . وقد أدّى تفاعل الأحداث القصصيّة صلب المقام السّردّي إلى بلورة النّتيجة أو المآل. فكان الفشل والإخباط . وهو فشل سببه البخل تجلّى من خلال قوله " فاستثقلت المؤونة و كرهت الكلفة و رجوت العافية " ومن نتائج تفاعل المقام وبقية المقوّمات القصصيّة كانت النّتيجة الأهمّ المتمثّلة في أنّ المال أعلى من الصّحة و النّفس و أكثر قيمة منهما هذه العامليّة التي يفترضها المقام كشرط أساسيّ لتحقيق المقصديّة جعل بعض النّقاد يسندون صفة العامليّة إلى المقام السّردّي. فوسّموه بالمقام العامل³⁷ . و لا يُخفى علينا ما في هذه العبارة المسندة إلى المقام السّردّي من حثّ على ضرورة تبين عمل المقام وتأثيره في العمليّة التّخاطبيّة بين شخصيّات النّادرة والجدال الحاصل بينهما .

وعليه ، فقد قام هذا المقطع على بنية قصصيّة واضحة المعالم ساهم المقام السّردّي بقسط كبير في بيان ملامحها القائمة أساساً على تكريس معنى البخل وتغيّر نظم التّعامل اليوميّ « ويجب أن يؤثر هذا المتغيّر أو أن يحدث أثره على الموضوعات في الأحوال المتعاقبة من المقام »³⁸ وقد تجلّى هذا الوضوح المقاميّ من خلال المراحل التّالية التي سلكها مسار الأحداث القصصيّة في النّادرة ، ممّا أسهم في الإقناع و الاتّفاق التّامين بأنّ ذلك لا يكون إلاّ سماًوياً . هذه المراحل يؤسّسها المقام السّردّي على النمط التّالي من خلال هذه المراحل :

- وضعيّة البداية : مرض البخل بالسعال و عدم استعمال دواء ضنّا بالمال و خوفا من إنفاقه. التمهيد للبحث الرئيسيّ
- سياق التحوّل : فبينما الفجائية : قرينة على التحوّل ، وقع الأمر " صدفة " فليست له أسباب منطقيّة غير الإرادة الإلهيّة فكأنّما العناية الربانيّة هي التي أوجدته : فهو أمر مقدّر من الله لا يأتيه من عباده إلّا الصّالحين و أصحاب الكرمات ...

• وضعيّة الختام : . موقف الشيخ البخل : ما أشكّ أن تلك المشورة كانت من التوفيق

. موقف الجماعة : من كلامه في المقطع الأوّل + كقصّته مع ماء النّخالة :

إنّ المقام السّرديّ في النّادرة قد أسهم من جوانب عديدة في رسم بنية قصصيّة . فتوفرت فيها أركان القصّ من راو و شخصيّات و أطر مكانيّة و زمنيّة و أحداث و ما يؤدّيها من مختلف أنماط الكتابة من سرّد و وصف و حوار، إلّا أنّ الإيجاز الذي تطلّبه المقام السّرديّ في مناسبات عديدة يغلب عليها خصوصاً لمثل هذه النادرة . إذ هي مزدوجة الوظيفة. فهي من ناحية الشيخ البخل ذات وظيفة إقناعيّة حجاجيّة و هذا هو المقام الذي أوردها فيه هذا البخل و تعكس رأي صاحبها التّقديّ (الجاحظ) " البلاغة في الإيجاز " و هي من ناحية الجاحظ ذات وظيفة فنيّة و إبداعيّة بما هي نادرة تتضمّن " حجة طريفة " و ترصد سلوكاً شاذّاً يحقّق الإمتاع في مقام سرديّ يخضع لشروط موضوعيّة كشف عنها الخطاب الحجاجي في النّادرة . وهذا ما سيكون له الأثر الكبير في مستوى الخبر من هذه النّادرة.

2. فلائمة المقام السّرديّ لغايات البخل :

في هذا المستوى، كانت رؤية البخل للآخر وفق صلاحه . و الصّلاح في عزف البخل هو البخل الحريص على المال، لذلك نجد تقابلاً في التّسميّة بين أصحاب الآراء الفاشلة و صاحب الرّأي النّاجح " أمرني قوم ... وأشار عليّ آخرون ≠ إذ قال لي بعض الموفقين " . فمن أشار بفكرة طبخ النّخالة هم من الموفقين . ذلك أنّ طبخها و شرب مائها له فوائد مضاعفة. فهو فضلاً على تعجيله بشفاء المريض يعصم البطن. فيسقط مؤونة وجبة العشاء . و هو غذاء نافع و جلاء للصّدر مع الإبقاء على الفائدة الماديّة من النّخالة كأنّ ثباع بعد طبخها. كما تباع قبله. و للبخل ربح ما بين الحالين .

إنّ المقام السّرديّ ههنا ، يُساهم في جعل البخل يبلغ بصاحبه درجة يُصبح فيها توفير المال و منعه " الغاية القصوى التي تكون على حساب الغذاء و الصّحة و النّفس . " فالتّضحية بالنّفس تهنّ في سبيل المال " .

كما أنّ المقام السّرديّ قد ساهم في بروز غرابة سلوك البخل، إذ لا تكمن في استعمال ماء النّخالة دواء فحسب بل في تحويل مائها إلى غذاء و تحويلها نفسها إلى مصدر لجمع المال . فتعامل البخل مع الأشياء يقوم على الإستغلال المفرط المبالغ فيه. وبذلك تكون من غايات توظيف المقام السّرديّ خروج البخل ببخله من دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة (المريض ، العائلة ، الجماعة ، الأصحاب الذين أعجبوا بالفكرة) كلّ ذلك من شأنه أن يُساهم في نشر البخل و تصديره . وبالتالي إستقطاب الآخر . فهو كالعلم الذي يجب نشره : " من تعلّم علماً و منعه " .

هذا البخيل الذي يظلّ يمارس خطاباً عقلانياً منطقيّاً حتّى مع عائلته للإقناع بسلوكه الشاذّ و الغريب معتمداً على مُلائمة المقام السردّي لمقاله. و قد بدا موقّف الزّوجة موافقاً لموقف زوجها و مُنسجماً معه ومع مقتضيات الحال و مناسبات القول التي يفرضها المقام السردّي و إكراهاته ، ممّا يدلّ على الإقناع و اعتبار البخل نعمة و هداية جمعاً للمصالح ودرءاً للمفاسد المتمثلة في التّفريط في المال .

الخاتمة :

قامت النّادرة الجاحظيّة على إيلاء المقام السردّي منزلة مهمّة سمحت بتواتر الحجاج في المحاورّة وتحقيق غايات البخيل والتبشير بها. وقد التبس فيها صوت البخيل بأصوات أخرى، لعلّ أبرزها صوت الجاحظ المعترّي حيث يُتيح المقام السردّي تعدّد الأصوات وتناميها صلب النّادرة. فنجحت النّادرة في الجمع بين الحجاج و القصّ و على التدرّج من الجانب النظريّ المجرد إلى الجانب الواقعيّ العمليّ للإقناع بأطروحة تُمير المال و تنميته و هو مبدأ البُخل و غايتهم . كما ساهم المقام السردّي في الإفصاح عن البُخل مذهباً فكريّاً و سلوكاً يوميّاً في القرن الثّاني للهجرة يستند إلى التّبريرات العقلية و الشرعية تأثراً بالسائد والمألوف بين أصحاب الفرق الدينيّة و السياسيّة و الكلاميّة من إعمال للعقل و النقل و احتجاج للرأي وردّ على الرأي المخالف . كما أُعتبرت واقعيّة الشّخصيات في نادرة الجاحظ [السند و المتن] عاملاً من عوامل طرافة النّادرة واستجابة صريحة لشروط من شروط المقام السردّي لكون إضفاء صفة الواقعيّة على الشّخصيّة القصصيّة يثبت المرجعيّة الحكائيّة ويجعلها أقرب إلى التّمثّل، ممّا ساهم في إثراء المقام وتفعيله. فلعبت الحكاية السردية دوراً كبيراً في تسريده وتواجهه في أثناء لغة البخيل وجهازه التلقظي من قبيل ما مثلته صورة البخيل المُجادل العالم بالقرآن المُستعمل للعقل تأثراً بعلوم العصر من منطق و فلسفة و علم كلام.

و قد بدا الجاحظ في رسمه لهذه الشّخصيّات ملحاً على خطابها جاعلاً إيّاها رموزاً لخطاب البُخل و سلوكه السائد لدى أهل مرو في مقامات سردية مختلفة. و هذا ربّما يكشف عن نزعة شعويّة و عن جملة من التّحوّلات في القيم و انفتاحاً مقامياً نجد نماذج كثيرة منها في النّادرة بلغت حدّ الإشارة إلى الأدوية و الأطعمة التي تُكشف أسماؤها عن أصول فارسيّة و عن عراقة في الطبّ و تصنيف الطّعام و هو ما استفاد منه العرب بفعل التّلاقح الحضاريّ و الثقافيّ في إطار الدّولة العبّاسيّة. ولذا فقد أسهم المقام السردّي في هذه التّصوص في إخراج نماذج من البُخل في صور حيّة و جعلهم أصحاب منطق و حجاج و جدل لهم ثقافتهم الدينيّة و الفلسفيّة الواسعة إلى جانب ما ميّزهم به الجاحظ ببخله من خفة الرّوح و ما أجرى على لسانهم من نكت . وهو ما حبّب القارئ في شخصيات هذه التّصوص الذين كانوا في جانب منهم تصويراً حيّاً للمجتمع العبّاسيّ على عهد الجاحظ به .

الهوامش:

- ¹ - محمد سيلا وعبد السلام بنعبد العالي : الإيديولوجيا ، سلسلة دفاتر فلسفية دار تويقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1، 1999، ص ص 53
- ² - محمد بن عياد : المقام في الأدب العربي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس ، مطبعة التفسير الفني ، صفاقس الجمهورية التونسية ، ط1، 2004، ص 131.
- ³ - المرجع نفسه، ص 09.
- ⁴ - المرجع نفسه ، ص 3.
- ⁵ - محمد الحبو : نظر في نظر في القصص ، مداخل إلى سرديات استدلالية ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ، مكتبة علاء الدين ، ط1، صفاقس تونس 2012. ص 74.
- ⁶ - صالح بن رمضان، في الترتيل والرسالة" ضمن أعمال الندوة التي نظّمها قسم العربيّة، أبريل 1993 تحت عنوان" مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم"، مشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1994، ص: 300.
- ⁷ - استعمل جبرار جونات هذا المصطلح (المقام السردى) في مبحث الصوت السردى الذي هو أحد الأقسام التي بها ومنها يتشكّل الخطاب القصصي وهي الزمن والصيغة والصوت السردى. ويتكوّن المقام السردى عند جونات من عناصر سردية مرتبطة بعضها ببعض لا يفككها إلا وصفها عنصراً عنصراً. وقوامها الفعل السردى أي عمل قول الحكاية والقائم بهذا الفعل أي الراوي منزلاً في حدود زمانية ومكانية ومرتبطة بمقامات سردية مندرجة في القصة نفسها. وقد جسد جبرار جونات هذه العناصر في دراسته ثلاثة عناصر أساسية : زمن السرد أي الزمن الذي يسرد فيه الراوي حكايته مرتبطاً بالزمن الذي حصلت فيه هذه الحكاية والمستويات السردية المتمثلة في المواقع التي يحتلها الرواة وهم يسردون حكاياتهم والراوي في علاقته بالراوي له وبالحكاية.... يُنظر معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، أشرف محمد القاضي، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس ودار القاري، لبنان ودار تالة، الجزائر ودار العين، مصر ودار الملتقى، المغرب، ط1، 2010، ص 406.
- ⁸ - محمد الحبو، مداخل إلى قصصية المعنى، مكتبة علاء الدين و وحدة الدراسات السردية بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، صفاقس، تونس، 2016. ص: 98.
- ⁹ - ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1992 مادة ، ق، و، م.
- ¹⁰ - محمد بن عياد : المقام في الأدب العربي ، مرجع مذكور سابقا، ص 12.
- ¹¹ - الجاحظ : البيان والتبيين، ج1، 1988.
- ¹² - محمد بن عياد : المقام في الأدب العربي ، مرجع مذكور سابقا ، ص 17.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 18
- ¹⁴ - معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، أشرف محمد القاضي، مرجع مذكور سابقا ، ص 405.
- ¹⁵ - يُنظر كذلك كتاب المقام في الأدب العربي ل محمد بن عياد صص 10، 9، حيث أشار إلى مختلف المكونات التي تشكل المقام وثبتها مستفيدا في ذلك من إضافات النقاد الغربيين الذين تناولوا مسألة المقام بالدرس والتحليل.
- ¹⁶ - محمد الحبو، مداخل إلى قصصية المعنى، ص: 98.
- ¹⁷ - المرجع نفسه ، صص: 110. 116
- ¹⁸ - هو كتاب جمع فيه الجاحظ أخبار البخلاء و المقتصدين و قد تضمن هذا الكتاب فضلا عن رسالة سهل ابن هارون إلى بني عمّه حين ذموا مذهبه في البخل و رسالي ابن العاص و ابن التوأم قصص البخلاء و نوادرهم ثم بابا عن أطعمة العرب . و في هذا الكتاب يقول الجاحظ عن كتابه في المقدمة " و لك في هذا الكتب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة و أنت في ضحك منه إذا شئت و في هو إذا مللت الجدّ "

- 19 - أبو عثمان عمرو الجاحظ : البخلاء " تحقيق طه الحاجري دار المعارف ، ط5، سلسلة ذخائر العرب ، صص 20 / 21 .
- 20 - المصدر نفسه ، صص 31 ، 32 .
- 21 - محمد الخبو : نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية ، مرجع مذكور سابقا ، ص 74.
- 22 - معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، أشرف محمد القاضي، مرجع مذكور سابقا، ص 449.
- 23 - أحمد محمد ويس : بلاغة النادرة قراءة أسلوبية تداولية لنادرة قديمة ، في ضوء نظرية أجناسية حديثة ، مجلة فصول لمجلد عدد 98 ، لسنة 2017، ص 277.
- 24 - أبو عثمان عمرو الجاحظ : البخلاء جزء 1 ص : 26 .
- 25 - المصدر نفسه ، ص : 27.
- 26 - المصدر نفسه ، ص : 62.
- 27 - صالح بن رمضان : كتابة الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ حوليات الجامعة التونسية ، عدد 51، لسنة 2006، ص 180
- 28 - أبو عثمان عمرو الجاحظ : البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، ص 19
- 29 - محمد الخبو : نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية ، مرجع مذكور سابقا ، ص 77.
- 30 - فان دايك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، ترجمو عبد القادر قنيني ، ط1، إفريقيا للشرق، بيروت لبنان ، 2000 ص 258.
- 31 - محمد محمد يونس علي : وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية منشورات جامع الفاتح 1993، ط1، ص 137.
- 32 - محمد الخبو : نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية ، مرجع مذكور سابقا ، ص 78.
- 33 - أبو عثمان عمرو الجاحظ : البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، ص 29.
- 34 - صالح بن رمضان : أدبية النص النثري عند الجاحظ ، مؤسسة سعيديان للطباعة والنشر والتوزيع، سوسة، ط1، 1990، ص 6.
- 35 - محمد الخبو : الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة ، ط1، دار صامد للنشر والتوزيع ، 2003، ص 451.
- 36 - محمد الخبو : نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية ، مرجع مذكور سابقا ، ص 75.
- 37 - ينظر محمد الخبو : الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة ، ص 451. و ما بعدها حيث خصص في دراسته الموسومة بالخطاب القصصي فصلا كاملا سماه المقام العامل مشيرا فيه إلى فعل المقام في الخطاب التلفظي وضرورة تغير المقام بتغير الملفوظ اللغوي وهو ينجز .
- 38 - فان دايك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، مرجع مذكور سابقا ، ص 259.

المصادر والمراجع في هذا البحث :

المصادر :

- أبو عثمان (عمرو الجاحظ) : البخلاء " تحقيق طه الحاجري دار المعارف مصر، ط5، سلسلة ذخائر العرب ، 1990م.
- أبو عثمان (عمرو الجاحظ) ، البيان والتبيين: تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ.

المراجع :

- 1- بن رمضان(صالح):

- * - في الترسّل والرسالة" ضمن أعمال الندوة التي نظّمها قسم العربيّة، أفريل 1993 تحت عنوان "مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم"، منشورات كلّية الآداب بمتونة، تونس، 1994.
- * - كتابة الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ حوليات الجامعة التونسية ، عدد 51، لسنة 2006.
- * - أدبية النص الثري عند الجاحظ ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر والتوزيع، سوسة، ط1، 1990.
- 2- بن عياد (محمد): المقام في الأدب العربي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس ، مطبعة التسفير الفني ، صفاقس الجمهورية التونسية ، ط1، 2004.
- 3- الخبو (محمد) :
- * - نظر في نظر في القصص:مداخل إلى سرديات إستدلالية ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمتونة ، مكتبة علاء الدين ، ط1، صفاقس تونس 2012.
- * - الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة : دار صامد للنشر والتوزيع ، ط1، 2003.
- * - مداخل إلى قصصيّة المعنى، مكتبة علاء الدين و وحدة الدراسات السردية بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمتونة، صفاقس، تونس، 2016.
- 4- دايلك (فان): النصّ والسياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ و التداوليّ، ترجمو عبد القادر فنيّني ، ط1، إفريقيا للشرق، بيروت لبنان ، 2000 .
- 5- سبيلا (محمد) و بنعيد العالي (عبد السلام) : الإيديولوجيا ، سلسلة دفاثر فلسفية دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1، 1999.
- 6 - محمد ويس (أحمد) : بلاغة النادرة قراءة أسلوبية تداولية لنادرة قديمة ، في ضوء نظرية أجناسية حديثة ، مجلة فصول مجلد عدد 98 ، لسنة 2017.
- 7 - محمد يونس علي (محمد) : وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، منشورات جامع الفاتح، ط1، 1993 .
- المعاجم:
- 1- معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، أشرف محمد القاضي، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس ودار الفارابي، لبنان ودار تالة، الجزائر ودار العين، مصر ودار الملتقى، المغرب، ط1، 2010.
- 2- 1- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1992 مادة ، ق، و، م.